

نظرات جديدة
في مستقبل
العمل اللاذاعي

سعد البراز

رئيس التحرير: موسى كريدي

الكتاب القادم :

في صحوة المجتمع

د. عبد الحسين بيرم

دار الحرية للطباعة - بغداد

السعر ٥٠ فلسا



نظرات في مستقبل
العمل الأداعي

سعد البزاز

مشورات دار الجاحظ للنشر - وزارة الثقافة والاعلام

بغداد

أذار ١٩٨٠



- سعد البزاز

- مواليد مدينة الموصل ١٩٥٢
- تخرج في جامعة بغداد - كلية القانون والسياسة
- عمل في الصحافة والاداعية والتلفزيون
- من مؤلفاته :
- - الهجرات - مجموعة قصص ١٩٧٢
- - البحث عن طيور البحر - مجموعة قصص ١٩٧٦
- جمع واعداد الاعمال الشعرية الكاملة للشاعر شاذل طاعة ١٩٧٧
- تحت الطبع :
- - قصص - ١٩٨٠ - عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت
- يعمل حالياً في المركز الثقافي العراقي في لندن .

المستقبل والارادة

ان نظرة خاطفة الى طبيعة التنافس في الحاضر تجعلنا نتصور ان كل ما يحيط بنا هو مقدمة لحالة تنافس شديدة الضراوة ستحصل غدا .. وغدا موعد كثير المرونة بين ان يقع بعد ايام او يقع بعد سنين ، وربما يكون القد مثل الحاضر تنبئها لوعده مقبل سيتخذ فيه الصراع والتنافس في مجالات السياسة والثقافة والاعلام اشكالا حادة .. ولذلك فان الفكرة التي تنبثق لبناء الحاضر ترافقها افكار كثيرة تتصور ملامح المستقبل وتحاول الامساك بضمانات التفوق والتقدم ... ولمسل المجالات الحيوية في حياة المجتمع البشري هي المجالات الاكثر ارتباطا بهذا السعي المحموم باتجاه المستقبل ، ووسائل الاتصال التي لم تكن يوما الا تعبيرا عن اتجاهات عقائدية وسياسية وحضارية محددة تتقاطع مع سواها هي (مجال حيوي) شديد الحساسية يشهد حاضره اليوم تسابقا غير

الموسوعة الصغيرة

سلسلة ثقافية نصف شهرية تتناول مختلف العلوم والفنون والآداب تصدرها دار الجاحظ للنشر

رئيس التحرير : موسى كريدي

اهداف الصراع السياسي والاعلامي بما
يتصف به من امكانيات الوصول الى المناطق
الجغرافية المغلقة ...

٣ - ان هذه الوسائل مشاعة ومتوفرة وفي متناول
كل فرد ، ولم يعد ممكنا دراسة احوال
الفرد والمجتمع دون دراسة تأثيرات وسائل
الاتصال وبخاصة الراديو والتلفزيون على
كليهما ...

٤ - ان وتيرة التطور التي يشهدها الراديو
والتلفزيون سريعة للغاية نسبة الى العمر
الزمني لهذين الجهازين ... وان هذا
التطور يتعلق بعنصرين .. الثورة التقنية
والصناعية والعلمية في مجالات مديات البث
والسيطرة على الاثير وادوات التنفيذ
ووسائله ... والامكانيات البشرية بافكارها
والخلاقة المبتكرة والمواهب الفردية المتراكمة
والخطط والبرامج ولفسات العمل .

٥ - ان الراديو بالدرجة الاولى والتلفزيون
بالدرجة الثانية في حاضره (وسيقدم
الدرجة الاولى في مستقبل التطورات المنتظرة
لمديات البث) يدعمان السياسات الخارجية

اعتيادي نحو الفرد ... لتتراكم خبرة انسانية هي
ملك للجميع بلا شك .. ولكنها من جانب آخر
تمنع الاطراف السبابة فرصا اكبر وخبرة اعمق
في الايصال والتاثير في المجموعات البشرية المستهدفة
عبر وسائل الاتصال ...

ان هذا كله يقع في نطاق حجم ارادة المجتمع
وقادة الراي فيه ... وتناسب افكار ومشاريع
المستقبل طرديا مع قوة هذه الارادة ... فاذا ما
توفرت الارادة توفرت ضمانات اساسية لامتلاك
فرص النهوض وتطور الحاضر وترسيخ اسس
التقدم باتجاه المستقبل ... وعندما تكون هذه
الفرضية صحيحة في عموم مجالات النشاط
الانساني المختلفة فانها في مجالنا الحيوي ووسائل
الاتصال وبخاصة (الراديو والتلفزيون) تكون دقيقة
للاغاية لعدة اسباب ...

١ - ان هذا المجال الحيوي يشهد تنافس جميع
المجموعات البشرية على تفاوت ثقلها البشري
والحضاري والسياسي ولم يعد هناك مجتمع
انساني متحضر بدون وسائل اتصال ...

٢ - ان هذا المجال واحد من اهم مجالات الصراع
الدولي الذي يوظف لخدمة التفاهم البشري
حضاريا واقتصاديا وثقافيا ويوظف لخدمة

لدول العالم ويؤثران في اتجاهاتها بحيث
اصبح تأثير هاتين الوسيلتين اكثر عمقا من
التاثيرات المتوقعة لوسائل الاتصال الاخرى
في حالة وجود (منطقة جغرافية مغلقة) امام
طرف من الاطراف .

ان عبور الاسلاك الشائكة وتخطي اجهزة
الرقابة وحراس الحدود متاح امام الراديو بشكل
كبير في عصر لم تعد فيه نوافذ مغلقة ... وبالمنطوق
السياسي فان الراديو يسهم في صناعة السياسة
الخارجية حيث يستخدمه طرف من الاطراف (في
حالات غلق البقع الجغرافية امامه) في التأثير على
الراي العام في البقعة الجغرافية المغلقة في محاولة
لتعبئته للضغط على السلطات السائدة هناك
والتاثير على صانع القرار السياسي الخارجي فيه
لاتخاذ سياسة خارجية تتوازي مع الاهداف التي
يسعى اليها الطرف الذي عمل على تسليط ضغطه
نحو الراي العام في الطرف المقابل ... ويمكن
تصور هذه النتائج من التأثير والتفاعل في حالات
توفر الشروط الطبيعية للتعبير الحر ...

من المبادئ الرئيسية لتعبئة السعي القائم
بانجاه المستقبل على مدياته المختلفة بما يضمن
تحقيق تطورات تقنية وبرامجية وتخطيطية نوعية

في عالم متسابق حتى الجنون يقتضي ملاحظة
مايلي / ...

١ - ان التفكير ببرامج وخطط المستقبل
ليس حكرا على فئة محددة من العاملين في حقل
الراديو والتلفزيون يتمتعون بصفة المخططين
او بقيادة الوحدات الانتاجية الحالية . ولا بد
من تحقيق صيغ ضامنة لمساهمة اكبر عدد
ممكن من المحررين والمخرجين والمعلقين
والمذيعين والمهندسين والتدوينين في محاولة
لاستيعاب افكار جديدة واغناء الافكار السائدة
ولامتلاك شرط حاسم في العمل هو حماس
عدد كبير جدا من العاملين الذين يسهمون في
التنفيذ ويشعرون بمساهمتهم في بناء هذه
الخطط والبرامج وسياستها لتنتهي الحالة
اللبية السائدة بالفصل بين هيئة محددة
من المخططين وهيئة عاملة كبيرة من المنفذين
واعتقد ان التجربة العراقية رغم ما شهدته
من اشكال متفاوتة في استيعاب ملاحظات
وافكار ومقترحات العاملين المنفذين الا ان هذه
الصيغة متلكئة وغير ثابتة وكثيرا ما يشعر
العاملون المنفذون بعزلتهم عن الخطط التنفيذية
المرسومة (البرامجية) ...

٢ - ان التخطيط لبرامج المستقبل تقنيا وبرامجيا يجب ان لا يتحدد بما يقدمه ذوو الخبرات اللولية في الراديو والتلفزيون منطلقين من أنهم يقفون على ارضية جيدة لخبرة متواصلة اتخذت شكلها النهائي وبالتالي فان الحقائق التي توصلوا اليها ثابتة ساكنة لا يمكن هدمها ولذلك فاسهام الفئات الشابة الجديدة في التخطيط لبرامج المستقبل يضمن امرين مهمين الاول تطوير الخبرة التي انتهى اليها العاملون الرواد والقدامى والثاني ضمان حماسة متواصلة في التنفيذ لدى هؤلاء الشباب الذين تتيح لهم اعمالهم وتتيح سنوات الفد مساهمتهم في تنفيذ مايجري تخطيطه لهذا الفد ... وبذلك تزول اية غربة بينهم (اليوم وغدا) وبين التخطيط والتنفيذ .

٣ - ان رفع الحماس بانجاه (المستقبل) والتنويه بمخاطر التباطؤ او التلكؤ في التسابق اليه او المكوث عند الحقائق الراهنة في العمل الاذاعي والتلفزيوني يوفر اجواء عمل صحيحة لتجاوز اخطر امراض العمل التي تعرف (بنمطية) العمل الاذاعي وسكونه عند صيغ واساليب ومحتويات وطرائق جامدة اصبحت معروفة لدى المستمع والمشاهد وادت الى

فقدان الراديو والشاشة عنصر المفاجأة والتطوير والاضافة ... وعندما لا نسمى الى المستقبل فا الاخرين على اختلاف برامجنا العقائدية والسياسية والثقافية والتربوية سيقفوننا اليه ما دامت هذه الوسيلة تقف في خضم الصراع الدولي القائم .

٤ - ان الحديث عن مستقبل العمل الاذاعي القومي والمحلي يجب ان يتصل بالخبرات التي يمكن الحصول عليها من عمل المجموعات الاقليمية والدولية التي تدل المؤثرات الراهنة على حاجة الجميع اليها وامكان تحويل هذه التجمعات الى مراكز فاعلة في تبادل الخبرة والتعرف الى الحقائق الجديدة في العمل الاذاعي .

خطوات نحو اذاعة قومية

في عصرنا هذا ، عصر نهوض القوميات المحررة وتميز شخصياتها ، يشكل نهوض الامة العربية الحدث الاعمق في هذا العقد من حياة البشرية ، ويقدر ما يكتنف هذا النهوض من محيط معقد وشائك وما يشهده من صراع ساخن ، فان الوسائل جميعها تتكامل مع بعضها لتعبر عن ارادة النهوض .

ولعل اهم الوسائل هي تلك التي ترتبط مباشرة بالتوعية والتثقيف وبناء المشروع الثقافي العربي الواحد ذي الاهداف التاريخية الواضحة . وفي هذا العصر التقني تغلب وسيلة اخرى في الوصول الى العقل والنفس من الفرد ، ولا شك ان (الراديو) قد دخل حياة الانسان ليمس عقله ونفسه كل يوم ويسهم في اشاعة الافكار او التعتيم عليها ، وهذه الوسيلة الحاضرة في حياة الفرد العربي على تباين مستويات الحياة الاجتماعية والاقتصادية أصبحت وصلة فعالة في تحقيق المشروع الثقافي الموحد للامة .

وبالقدر الذي تعاني فيه الحياة العربية من تناقضاتها الطارئة او المتواصلة في انماط التطور من قطر عربي لآخر فان الوسيلة المصرية الجذابة ظلت تعبيرا عن النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي « ليس في الوطن العربي اذاعات تصدر عن هيآت اجتماعية او ثقافية او سياسية غير الدولة في النطاق المسموح به » ولذلك فان هذه الوسيلة تسير في خطين متماكين ، الاول ان تعبر باللغة الواحدة والموضوع الواحد عن وحدة الضمير العربي والثاني ان تتناقض في المعالجة والاسلوب تناقض الانظمة الاقتصادية والسياسية .

المطلوب الان ، اذاعة عربية قوية في مديات البث الاذاعي ، واعية ونشيطة وموثوقة ، يشكل وجودها نقلا مميذا يفعلي التمازض والتناقض ومحاولات العزل والاقلمة ، واذا كان القطر العراقي يحاول الان ان يربط مسار التطور الاجتماعي والاقتصادي بالحاضر والمستقبل العربي ويشمي ، خصائص التكامل الاقتصادي والثقافي والاجتماعي ، فانه جدير ان يشرع ببناء اذاعة قومية ..

الاذاعة عامل قومي مضاف

يقول « جان ماري دومناك » في كتابه المهم ،
الدعاية السياسية : ان وجود اجهزة الاعلام المتطورة

(ومنها الاذاعة) لم يعد مظهرا من مظاهر الحياة الحديثة فحسب انما اصبح ضرورة اساسية ، اذن المذياع ، ضرورة في هذا العصر ..

ان الراديو هو الوسيلة التي تصل دون وسيط او استئذان وتلاحق الفرد في غمار حياته اليومية ، وتملك القدرة على الايهام والايحاء بموجاته (التي لم تعد مشاعة بعد اخضاعها للاتفاقات الدولية) لتحقق الاتصال مع الملايين في العالم متجاوزة الحدود وشهد فن الاذاعة واسلوب البث تطورا كبيرا جعل الفضاء مفتوحا امام الانسان متخطيا عقبات الكون الارضي وحدوده .

واذا كانت الاذاعة اداة للتسلية والترفيه والاعلام والاعلان والاخبار والتعليم فان الاستبيانات تدل على ان الجمهور يعتبر المذياع مصدرا للمعلومات والمعرفة بالدرجة الاولى قياسا لاعتباره اياها وسيلة للتسلية كما هو الحال مع التلفزيون حيث يعتبر التلفزيون اداة تسلية بالدرجة الاولى . ان مساس المذياع للوعي في حواس المتلقي يجعله على قدر هام من التأثير على (الكتلة) الاجتماعية التي تستقبل المذياع ، والوحدة الاساسية في هذه (الكتلة) هي الخلية العائلية ومن هنا تنامي اهمية خاصة للمذياع في قيام الروابط بين الافراد والجماعات وفي تعميقها وتحقيق الاكتمال فيها .

ليس مبالغا القول ان ظهور المذياع بكل تأثيراته وتوسع اجهزة الاتصال قد اضاف عاملا حيويا وفاعلا في توطيد اواصر الحياة العربية ذي التاريخ والوجدان والنمطية والثقافة الواحدة فليس اعتياديا مايفعله هذا الجهاز الخطير في ابصال الفكرة والخبر من اقصى نقطة في المشرق الى اقصاها في المغرب من الوطن العربي ،

وعلى الرغم من اختلاف السياسات العربية التي تقود وتوجه اجهزة الراديو في الوطن العربي فان هذه الاجهزة قد ساهمت منذ قيامها في الثلاثينات « اذاعة القدس ، اذاعة القاهرة ، واذاعة بغداد » وبدرجات متفاوتة في تحقيق التواصل داخل الحياة العربية الواحدة ، ولا بد من القول هنا ان اي جهاز اذاعي مهما امنت السلطة التي توجهه في انتاج سياسات اقليمية متخلفة فانه لن يجرؤ على مقارعة الفكرة القومية ، بل لقد ساهمت السياسات المظلمة التي استخدمت الشعارات القومية خدمة لاهداف سياسية محدودة في تحقيق نتائج عكسية ... اننا في عصر قومي لم تعد فيه نوافذ مسدودة ... ففي الوقت الذي يمكن فيه فرض الرقابة والمنع والحجز والحرق على الصحيفة والكتاب والشريط السينمائي والمرحبة فان الراديو يبقى اكثر حرية فمن يستطيع منع الاثير من حمل الموجات الاذاعية؟

التي لا تتصل بسمي بعض وسائل الاعلام العربية
لما كبة النمو الاجتماعي والاقتصادي الجديد في
بعض اقطار الوطن العربي ، تعريض الجبهة النفسية
للمواطن العربي في فترات الحرب مع العدو
الصيوني للاهتزاز وفتح ثغرات كبيرة فيها بدرجات
متفاوتة .

ان اهدافا ثلاثة تقف الان في الصدارة من العمل
الاذاعي العربي للتصدي للارباك الذي تحدثه الاذاعات
الناطقة بالعربية الصادرة عن هيئات اجنبية :

- ١ - تطوير مديات البث العربية على الموجات
المتوسطة .
- ٢ - تطوير اساليب العمل الاذاعي .
- ٣ - تطوير مديات بث الاذاعات الموجهة الى الوطن
العربي .

اللغة :

اللغة احدى معضلات وسائل الاتصال ،
وتعبيراتها المتعددة ، وتمعدت هذه المعضلة في الوطن
العربي باكتسابها مضاعفات ناجمة عن السياسات
الاعلامية القطرية ضيقة الافق والوريث الاستعماري
الذي استهدفت اللغة العربية وعرضها للتدجين
والمسخ في محاولاته اشاعة اللغات الدخيلة (الفرنسية
والاسبانية في المغرب . الفرنسية في الجزائر وتونس

والى اي حد تنجح عمليات التشويش على الاذاعات
او حجز (الفضاء الاقليمي) بشبكة اذاعية محلية ؟
هكذا فان هذه الوسيلة بمنطق العصر هي وشيجة
مضافة في حياة الامة العربية . لغتها وموضوعها
المشترك ، يجعلان منها - رغم التخريب السياسي
ذي الاتجاهات الاقليمية - عاملا قوميا مضافا لا
يفرط في اهميته ...

على مستوى آخر . تتوجه الى الفرد العربي
اذاعات عديدة تنطق بالعربية وتصدر عن هيئات
رسمية اجنبية ، (١) تسعى لتحقيق اهداف سياسية
واضحة . فقد تحولت الجزر الرئيسية في البحر
الابيض المتوسط لتكون مراكز ارسال اذاعي موجه
الى المنطقة العربية ساهم في السنوات العشر الاخيرة
في تحقيق ارتباك حقيقي لدى المستمع العربي ، كما
توجد الى منطقة المشرق العربي اذاعات اخرى
يقابلها بث آخر موجه الى المغرب العربي . لا يضع
في حسابه في افضل الحالات تدعيم هدف قومي او
الحرص على حاجة عربية . ان النتائج والاساليب
كانت تهدف دائما الى :

انماء النزعات القطرية واثارة الحساسية
الطائفية ، تعريض ثقة المواطن العربي بوسائل اعلامه
لهزات كبيرة ، اشاعة الافكار والمفاهيم اللبرالية

هدف هذه الوسيلة الاعلامية المؤثرة تنقية لغة المجتمع وتطويرها ..

لقد سجلت التجربة العراقية نجاحا نسبيا في هذا المجال ، يتركز في اعتماد اللغة الام وسيلة تعبير وحيدة في البرامج الاذاعية « عدا لغة برامج الريف ولغة الاغاني » وقد ادى ذلك الى نتائج مهمة كان من بينها انحسار ظواهر ثقافية شائعة كالشعر الشعبي الذي تحدد انتشاره واصبح امام مفترق الطريق للتحول نحو القصيدة العربية الفصيحة .

تبقى المشكلة او المسألة في الريف .. فمن الخطا ان تعتمد الاذاعة الى لغة فصيحة موجهة الى الريف في وقت لم يتكامل فيه مشروع التطور الاجتماعي والتعليمي والصحي في الريف وفي وقت تسمى فيه الاذاعة للوصول الى (الفلاح) لدعم برامج التطور ودفعها باتجاه التعجيل ... امامنا هذه الملاحظات لرسم صورة متكاملة عن المشكلة :

١ - اشارت استفتاءات قام بها عدد من الباحثين في معهد التدريب الاذاعي والتلفزيوني في بغداد الى حالة نفسية خاصة لدى الفلاح العراقي ترتبط بالماضي القريب والبعيد من حياة الريف ، وهي ان اللغة الفصحى هي لغة (الموظف) الذي يمثل (الحكومة) ولهذا

الابطالية في ليبيا . الانكليزية في مصر والمراق والسودان .. الخ) . وما رافق تلك السياسات القطرية والاستعمارية وما لحق بها من برامج منغلقة تمهدت بها مؤسسات ثقافية واعلامية في العقود الاخيرة وصنعت غطاء لها اهدافا ومبررات (حضارية) و (ثقافية) . كما ساهمت الامية في تميق عزلة « الريف العربي خاصة وقطعات كبيرة من ابناء الشعب العربي » عن اللغة العربية الفصحى وظهرت الى جانب ذلك دعوات مشبوهة قدمت (فصلا كاريكاتيريا) بين اللغة الام واللجة ، على اساس ان اللغة الفصحى هي (لغة التداول البرجوازي) وان اللهجات المحلية هي (لغة) تداول الفئات الشعبية ..

ازاء صورة بهذا الارتباك والتعقيد يكون على الاذاعة التي تطمح لتأدية دور مؤثر في المحيط العربي دور ثقافي وتربوي وسياسي من طراز معتد ذي نتائج متعاكسة قد يؤدي في مراحلها الاولى المعقدة الى العزلة خاصة عن الريف ..

في البدء ، الاذاعة تهدب لغة الشعب ، والاذاعة تنقي لغة المجتمع وتطور لغة الجمهور .. لذلك فان انطلاقتها مما كائن والابقاء على ما هو كائن وسلبى تراجمي .. والعكس وهو الصحيح ان يكون

تعاني الحصار والعزل ، ولا يمكن للغة التداول
ان تتطور ماديات الحياة التي تعبر عنها ..
ان الحلول المنتهجة في هذا المجال وفي اطار
الهدف القومي تتحدد كما يلي :

الخطوة الاولى :

العمل على تنقية اللغة من المفردات الموزلة في التعقيد
وخاصة تلك التي ترتبط بمناطق محدودة وعزلها
عن التداول في الاذاعة سواء في البرنامج العام او
البرنامج الموجه للريف .

الخطوة الثانية :

اعتماد المفردات والتعبيرات الاقرب الى
الفصحى تلك التي تتشابه من ريف عربي الى آخر .

الخطوة الثالثة :

تنقية اللهجات من المفردات الدخيلة (الفارسية
والانكليزية والتركية والفرنسية والاسبانية
والايطالية ..)

الخطوة الرابعة :

القيام بمحاولات جادة لاستقصاء اللهجات
الشائعة في الريف العربي والتمسك بما هو مشترك
وتقريب الى الفصحى واعتماده لغة الاذاعة الموجهة
الى الريف في المراحل الاولى .

فهي لغة (امرآة) وان استخدامها في حياة
(فلاح أمي) تعبير عن (الامر) . لذلك فان
اعتمادها في المراحل الاولى يشكل خطأ
اعلاميا وبعثرة للجهود في وقت لم تنته فيه
الامية بعد من اوساط الكبار والصغار .

٢- ان المهمة الموضوعة امام الاذاعة القومية هي
مخاطبة الفلاح العربي في كل مكان . وهذا
يعني تعقد المحاولة ، اذ ان الحالة الاجتماعية
والاقتصادية والتعليمية في الريف العربي عامة
تعاني من انعزالها عن المدينة وامتداد مسافة
بعيدة بين الريف والمدينة لذلك كان تمسك
الريف بخصائصه وصار تردده في قبول مخاطبة
موجهة اليه الا اذا ابتدأت من هذه الخصائص ..
هذا الى جانب تباين المستويات الاجتماعية
والتعليمية في الريف العربي .

٣- ان دور الاذاعة في النشر والاخبار والترفيه
والتعليم يبقى مرتبطا بنمط وحجم التطور
الذي يحصل في الريف ، فمن دون سعي
حقيقي لمحو الامية في اوساط الكبار في الريف
العربي والنهوض بحياة الفلاح من مختلف
جوانبها واختصار المسافة ما بين المدينة
والقرية لا تستطيع الاذاعة ان تطور (لغة)

القيمي) في هذا التراث مؤكدا على (الكرم
والإباء والشجاعة والفداء والبطولة والذكاء)
باعتبارها قيما عربية سجلها وجسدها التراث
الأدبي العربي .

ب - ان جمهور الإذاعة الأساسي هو (الشباب)
ولذلك فان هدف تحقيق تواصل الشباب
مع التراث لابد ان يجد له قنوات حيوية في
مقدمتها الإذاعة بكل ما تملكه من أساليب
مشوقة وجذابة .

ج - تحديد فترات للعمل على مديات متوسطة
وبميدة لحساب النتائج المتفاعة .

د - ولا بد من القول هنا انه بقدر ما يمثل التراث
من موحد طبيعي للوجدان العربي ، فان
النتائج الثقافية العربية بمختلف تعبيراته هو
الأخر تجسيد للوجدان العربي ، لذلك يكون
تقديمه والتركيز على الصفات المشتركة في
موضوعاته ومناهجه تعبيرا عن التمسك بهذا
الموحد الطبيعي .. الثقافة ..

هذا ما يخص برامج الريف العربي ، اما لغة
الإغاني ، فان المشكلة أبلغ منها هناك اذ مازال اعتماد
أكثر المفردات موهلة في المحلية قائما بدعوى المحافظة
على الفلكلور او الأبقاء على الروح الشعبية التي
تميز الإغاني ، واعتقد ان حسرا حقيقيا للهجات
المحلية لم يتحقق حتى الان .. وما زالت لغة الإغاني
تعاني من العزلة داخل القطر الواحد .. فكيف الحال
مع الوطن العربي كله ..؟..

التراث :

ان التراث العربي موجود متفق عليه ، اذ
الأصل لكل ما هو كائن الان ، وهو قاعدة طبيعية
للتوحد والتماسك ، فاي عودة الى الوراء هي اسقاط
لحواجز الحاضر المصطنعة .. يقوم هذا المشروع على
استعراض انجازات الحضارة العربية من خلال
تقديم التراث العربي في محاولة للأحياء عبر الحوار
والبناء الدرامي والتسجيلية الوثائقية .. وتقديم
حياة العلماء والفلاسفة العرب مع الأخذ بما يلي :

ا - التركيز على الانجازات العلمية والعقلية في
التراث العربي على اساس ان القيم الجمالية
والفنية في الأدب العربي القديم قد حظيت
باهتمام كاف واذا كان لابد من تقديم التراث
الأدبي فان هذا المشروع يتناول (الجانب

النهائي لهذه المشكلة .. فلا بد للاذاعة القومية الطموحة ان تعتمد الى نشر مندوبيها على اوسع نطاق في ارجاء الوطن العربي لتحقيق الاهداف المتوازية التالية :

الاول :

توفير مادة اذاعية حية عن آخر الاحداث والمتغيرات وبأدق المعلومات عبر ينابيعها الاصلية .

الثاني :

تعزيز ثقة المواطن العربي بهذه الاذاعة التي تشار في الوصول اليه ، وفتح الميكرفون امامه ، وهو الذي يجعل الاذاعة القومية مؤسسة حاضرة في حياة المواطن العربي ، وعندئذ سيختارها لتكون منبره ونافذته ..

الثالث :

ان الميكرفون المفتوح دائما عبر الاذاعة حين ينقل صوتا صوتية من هنا وهناك من ارجاء الوطن انما ينمي في اعماق المستمع العربي احساسا عميقا بالوحدة وباختصار المسافة وبان الوطن مهما كبر وبعدت اقطاره عن بعضها يظل صغيرا ومتداخلا مع بعضه البعض .

الحضور في الحياة العربية

لم يعد فتح كتاب داخل الاستوديو الاذاعي والمباشرة بقراءته - مهما تضمن من معلومات مهمة او طريقة - عملا اذاعيا مستساغا ، وان المبدأ الاذاعي البديل هو (الميكرفون في كل مكان) ، فالطريقة الوحيدة التي تختصر المسافات داخل الوطن العربي هي ان يستمتع العربي الى صورة صوتية حية من اماكن مختلفة بعيدة عنه من الوطن في وقت واحد . وان التثقيف بالمعلومات الاقتصادية ، والجغرافية والبشرية والحيوية من الوطن العربي ، هو الاخر على اهميته في البناء الروحي والنفسي ، العربي يبقى عملا قصير النفس مبتورا اذا تم عن طريق تلاوة المعلومات واملائها على المستمع . كما يبدو عملا غير موثوق وغير حي .. ويكون البديل ان تقدم الاذاعة هذه المعلومات من خلال الشخصيات والمسامع الصوتية الحية بتفاصيلها ومتغيراتها .. وهنا نرى ان البعثات الاذاعية الموسمية ليست الحل

المستقبل

السؤال الطبيعي المقدم هنا ، ما هو المستقبل ؟ وللإجابة على هذا السؤال لا نستطيع ان نفكر الا في اطار السباق الفني المتصاعد للاستحواذ على (المستمع) والتأثير فيه .. ولهذا فان الطريق نحو بناء اذاعة بتوحيد الخطوات العربية وتحقيق اشكال متعددة للتكامل الاذاعي العربي والالتقاء على كل ما هو متفق عليه الى جانب التمازج الكلي المطلوب بين الخبرة الاذاعية العربية .. فاجهزة الاذاعة العربية تواجه مجتمعة تحديا عصريا وتحديا قوميا ، في العصر الذي يشهد ثورة في وسائل الاتصال وقيام المجموعات الاوروبية والاسيوية وغيرها لتحقيق توثيق اعلامي ، يكون التوثيق الاذاعي العربي عملا الى جانب لزومه طبيعيا . فتطور وسائل العمل ومناهج التفكير الاذاعي واتساع مديات البث بانفتاح الفضاء وثورة المعلومات من خلال الاف الاحداث اليومية والمعلومات التراكمية تؤكد لزوم انشاء هيئات

١ - أبرز الازاعات الموجهة الى افطار الوطن العربي والتي تبث على الموجات المتوسطة هي :

- ١ - اذاعة اوكيان الصهيوني .
- ٢ - اذاعة صوت اميركا .
- ٣ - اذاعة لندن .
- ٤ - اذاعات مونت كارلو .

- اذاعة موسكو .



توثيقية عربية تطور الوضع الراهن لاتحاد اذاعات الدول العربية (٢) وذلك ببناء وحدات توثيق ، متخصصة لتحقيق تكامل الخبرة الاذاعية بالدرجة الاولى...

ان الحقيقة التي يهدد المستقبل بها العمل الاذاعي عبر الراديو هي منافسة التلفزيون الحقيقية للراديو ؛ اذ ان دور الراديو كوسيلة وحيدة للاتصال المباشرة بدون وسيط سينتهي في المستقبل . اذ سيصل الارسال التلفزيوني عبر الاقمار الصناعية الى اجهزة الاستقبال التلفزيوني في البيوت وتنتفي الحاجة الى المحطات الارضية التي تستقبل ارسالا هذه الاقمار اولا ثم تعيد ارساله الى المشاهدين وهذه الحقيقة التي ستجعل وصول البث التلفزيوني بالسهولة نفسها التي يصل فيها البث الاذاعي تضعنا امام عمل حقيقي لاستثمار الراديو قبل ان ينتهي عصره الزاهي كوسيلة اتصال سهلة بين مشارق الارض ومغاربها . .

٦ - اذاعة قصر شيرين .

اصافة الى اذاعة باريس الموجهة الى افطار المغرب العربي وبث معظم الازاعات الاوروبية باللغة العربية على الموجات القصيرة كما تبث الهند والصين وافطار اسيوية اخرى برامج باللغة العربية .

٢ - تأسس اتحاد الازاعات العربية في شباط ١٩٦٩ وهو يضم الان جميع الافطار العربية .

تغير عادة الاستماع والمشاهدة

في العمل الاعلامي لا توجد حقائق مطلقة ولا يمكن الارتكاز الى خلاصات ونتائج اعتبرت مسلمات في مرحلة من مراحل التطور التقني او التطور الاجتماعي ولذلك تنشأ كل يوم معضلات جديدة تحتاج الى حلول من نمط خاص يخرج على النتائج المتفق عليها منذ حين .. وهذا التحول طبيعي طبيعة التحولات النفسية والاجتماعية والاخلاقية والاقتصادية والسياسية في حياة الافراد الذين يتوجه اليهم البث الاعلامي والتلفزيوني ، وعندما يكون هذا الوسط الاجتماعي شديد الحساسية كثير التقلبات عندئذ لا يمكن احتساب مراحل تطوره بعقود زمنية متساوية بحيث نلاحظ بروز احداث سريعة تكون على قدر استثنائي من الاهمية رغم ضيق الفحة الزمنية التي امتدت عليها لكن آثارها تبدو اعمق وابعد من احداث تمر بطيئة وتمتد على مديات زمنية ابعد .. اذن مكتوب العجز والفشل على رجل الاعلام الذي يرضي لنفسه ان يكون رجل مكتب يسد النوافذ ولا يقلب الا في دفاتر ايام الدراسة وخلاصات العمل من مراحل سابقة ويعتقد خاطئا ان نجاحه في مرحلة سابقة او حاضرة هو ضمان لنجاحه في المستقبل او ان يود اعتقاد خاطيء بان ثقة المستمع والمشاهد

ومن العبث العمل بانتظار نتائج ايجابية على الموجات الاذاعية القصيرة ، فسيد الاستماع الان هو «الترانستور» واجهزة الراديو في السيارات والعربات ، لذلك فان تركيز الجهد للعمل على الموجات المتوسطة الموجة وتوسيع مدياتها هو السبيل الحقيقي للوصول الى المستمع خاصة في اطار الوضع الجغرافي للوطن العربي .

انني اعيد في نهاية هذه الدراسة التطبيقية عبارة طالما ترددت بيننا - نحن الاذاعيين - حول طاقة العمل ، هذه العبارة (السؤال) طرحها احد الاذاعيين الامريكيين (جي هونفر) في الفصل الاول من كتاب عن تنظيم وارادات المحطات الاذاعية ونشرته مجلة الفنون الاذاعية .. يقول في اول جملة من حديثه :

(لدى الحديث عن طبيعة العمل الاعلامي يتبادر الى الاذهان السؤال التالي : لماذا لانتمكن من توظيف الطاقة القصوى للعاملين في هذا الوسط الاعلامي ؟)

اعيد السؤال .. مع ادراكي للطبيعة المعقدة والصعبة لاذاعة تطمح ان تكون قومية في زمن تنافس ساخن .

بمحتاج ما او شخصية معينة هي ثقة دائمة ..
ان اسئلة من نوع مشابه تثار امام هيئات الراديو
والتلفزيون في كل مكان ...

ولكي يكون عملنا متوازنا مع معرفة الجهة
المرسلة للمعلومات بالاطراض المتغيرة للجهة
المستلمة لابد من تسجيل ملاحظات يومية وملاحقة
التطورات النفسية والاجتماعية ليس بمعنى اللهاث
السلبى وراء مظاهرتحول ، بل بمعنى استباق
التطورات نفسها والتكيف لها بدراسة الفئات التي
نستهدفها بانكارنا ومعلوماتنا التي نبشها عبر المذياع
والتلفزيون ..

السؤال المهم الذي يثار الآن : هو كيف
نعالج مشكلة التغير والتقلب الطبيعي في عادة
الاستماع والمشاركة ومستوى التدوق ووضابطه
والمؤثرات الفاعلة فيه .. ٤٠٠ ..

ان تغير عادة الاستماع والمشاركة يرتبط
بمؤثرات وظروف عديدة منها :-

١ - المستوى المعاشي للمتلقى

ان المستوى المعاشي لجهة الاستقبال ،
افرادا او جماعات لا يمثل الى حدود ثابتة ساكنة
بل يتحول في اطار اقتصادي عام ، لكن الفرد

كوحدة استماع ومشاركة منفصلة يحدد طريقة
استماعه ومشاركته للراديو والتلفزيون بمستواه
المعاشي . ففي كثير من الاوساط الاجتماعية الفقيرة
لم يكن متيسرا اقتناء اجهزة التلفزيون الاعتيادية
او الاشكال الاكثر تطورا وتعقيدا للراديو ، فتبرز
عندئذ اماكن محددة اخرى للاستماع والمشاركة
هي اماكن التجمع الجماهيري (كالمقهى) مثلا ومن
المؤكد ان مستوى التفاعل بين الحالتين مختلف
تماما (ان الانسان يكون اكثر استعدادا للتقبل في
حالة التجمع مع الكتل البشرية) (١) .

اما اذا كان الوضع المعاشي للفرد اعلى مستوى
فان مكان الاستماع يعود تدريجيا الى العلاقة
الانفرادية بين المتلقي والبث عبر الراديو والتلفزيون .
سيكون هناك جهاز راديو في (السيارة) الصغيرة
وجهاز آخر تحت مخدة النوم ، عندئذ لابد من
حساب حساس لقياس مستوى تطور الامكانات
المادية للفرد لتؤهله اختيار وسائل معينة للاستماع
الى برامجنا واختيار الاماكن الانسب اليه وانذاك
يمكن تفصيل شرائح الجمهور اقتصاديا وتبويب
عملنا على اساس متلائمة مع التحول في مكان

١ - الدعاية السياسية ، جان ماري دومينيك ، ترجمة جلال
فادوق الشريف .

الاستماع والوسيلة المختارة لتلقي اصواتنا ومدى اعزاز صاحبها بها وتمسكه بهذا الممتلك المادي (الراديو او التلفزيون) على ان اهتمامات الفرد - واختياراته النوعية تختلف مع تبين مستويات المعيشة بالضرورة ، ولعلنا لم ننس بعد انه منذ سنوات قريية كان جهاز المذياع الذي نستخدمه كبير الحجم يعتمد على التيار الكهربائي كمصدر وحيد للتشغيل وكان ذلك يعني عدم امكانية الحصول عليه كجزء من اثاث ومكونات البيت الا في ظروف معاشية معتدلة في اقل تقدير كما لم يكن ممكنا وصول بنينا الى الاماكن التي لم يصلها التيار الكهربائي .. الحال تغيرت الان ..!

ب - اما مقدار العمل المبذول والطاقة الانسانية التي يجهد بها الفرد الواحد فانها تحدد لنا جانبا آخر من الصورة .. صورة للعلاقة المتغيرة بين الفرد ووسائل البث الاذاعي الموجهة اليه يوميا . واول ما يجب التوقف عنده ، اننا في مجتمعاتنا الناهضة من مظاهر العجز والتخلف لم نحدد الابعاد النهائية لعلاقات العمل والانتاج من جهة ولم يتحدد دور الفرد بما يتوازي مع طاقته الحقيقية من جهة اخرى .. اي اننا في مرحلة انتقال تتسم بالقلق بالقلق والتغير السريع وعدم التوازن احيانا .. وينطبق

هذا الكلام على عموم مجتمعات العالم الثالث حيث تم حركة تطور اجتماعي واقتصادي وثقافي متفاوتة المستويات ، واذا اردنا ان نحسب الساعات الافضل في التوجة الى قطاع فئوي محدد من المستميين او المشاهدين كان لابد من تقدير ساعات العمل مع ساعات الراحة وهذا التقسيم ليس واضحا في اوضاع اجتماعية غيرمتبلورة تماما وعند افراد لا يمتلكون خريطة عمل يومي مفصلة ومحددة بالدقائق .. ان المشكلة هنا هي مشكلة الزمن الضائع في حياة الفرد ، وسيكون من التجاهل لحقائق واقعة ان نلغي ساعات العمل كلها لنقول ان الفئات التي تعمل لا تتلقى بشنا عبر الراديو مثلا ، لانه في مثل اوضاعنا الاجتماعية الحساسة كثيرا ما نرى ان ساعة العمل تكون ساعة استماع الى الراديو ايضا ، وبالمقابل فان المجتمعات الاكثر اندفاعا الى التقدم والنمو تشهد تداخل ساعات العمل بساعات الراحة حيث يبذل الفرد طاقة اكبر في العمل بحيث تنقص ساعات الراحة والاسترخاء او الساعات التي يمكن ان نقول انه (ربما سيستمع الى المذياع) ..

اذا اردنا اذن توجيه البرامج لقطاعات عاملة لابد من دراسة اوضاعها في العمل وطبيعة التنظيم ومستواه في حياتها العملية على ان لا تكون هذه

الخطط نهائية بل يكون من المناسب العودة دائما
لإعادة النظر فيها مع إعادة دراسة الوضع الاجتماعي
نفسه ، أما الأمر الأكثر أهمية هنا فيتعلق بسؤال
مهم :

ما هو مقدار ما يستطيع الفرد استيعابه من
الأفكار والمعلومات وما مدى قدرته على الاستماع ؟

وللإجابة عن هذا السؤال المركزي نعود إلى
المخاطر المحتملة على الجهاز العصبي المركزي (٢)
ومقدار تحمله في استيعاب المعلومات المبثوثة إليه
وهذا الأمر يتصل مباشرة بساعات العمل والطاقة
البدولية يوميا ، بدنيا أو فكريا ، هنا أيضا ..
تتغير عادة الاستماع من فصل إلى آخر ومن نوع
عمل إلى آخر وتتغير عادة الاستماع مع مقدار
الارهاق الذي يختلف مع تغير أداة العمل سواء
كانت تعتمد على طاقة الفرد المشتغل أو تعتمد
التشغيل الذاتي ولا تحتاج إلا إلى رقابة بعيدة ..
عبر هذه المداخلات كلها وهي مداخلات متحولة
متغيرة من حين إلى آخر نريد أن نمسك بجمهورنا
ونتوجه إليه !

٢ - هناك معالجة للموضوع في مكان لاحق من الكتاب .

ج - المستوى التعليمي

لا بد من رموز للتفاهم بين جهة الإرسال وجهة
التلقي ، هذه الرموز هي اللغة كعنصر أساس -
إلى جانب المؤثرات والرموز الجانبية الأخرى ولكي
يتحقق الاتصال بين قطبي الاتصال : الإرسال
والتلقي ، لا بد من معرفة خصائص رموز التفاهم
هذه قبل أن نبحث في القدرة على تفهم المعلومات
والأفكار خاصة المعقدة منها وهضمها .. وأنداك
تقدر الصعوبات البالغة في العمل الإذاعي والتلفزيوني
في مجتمعات يزيد عدد الأميين فيها على نصف
الأفراد كما هو الحال في معظم الاقطار التي سادت
فيها قرون من القهر والاستعمار ومنها الاقطار
العربية وكثيرا ما عمدت إدارات الانتاج التلفزيوني
إلى (دبلجة) الأفلام الناطقة بلغات أخرى إلى
لغة التداول اليومي كما نجد هيئات إذاعية أخرى
تلتزم البث باللغات المتداولة وتعتبر ذلك مرحلة
لا بد منها قبل تعميم اللغة القومية بأصولها النقية
السليمة لأن ذلك يرتبط بالنسبة المرتفعة للامية
في مجتمعات محددة وعلى هذا الأساس تكون بداية
التحول هي مرافقة العمل القومي لإزالة الأمية
ومحوها من المجتمع ، ولا يتم ذلك في المعتاد إلا في
مراحل زمنية تمتد سنينا وتشمل فئات عمرية
متفاوتة وتستلزم جهودا قومية كبيرة واستثنائية

وعلينا ان نحقق في آن معا مهمتين ، الاولى :
المساهمة الايجابية في دفع عملية التوعية وتطوير
مستويات الادراك والمعرفة الادنى الى امام .

والثانية : تحسس مستوى التغيير الثقافي
الذي يؤثر بشكل رئيس في تغير عادة الاستماع .

د - تغير القيم الاجتماعية والاخلاقية

ان المشكلة الاكثر اهمية وحيوية هنا ، هي
مشكلة التغير في القيم الاجتماعية السائدة ...
ففي مثل مجتمعاتنا التي تعيش فترات انتقال
وتعاني من عدم تبلور اوضاع نهائية في القيم السائدة
يصبح امرا مهما ان نلاحق التقلبات القيمة ونرصد
نبيضا بدقة ورهافة لنستطيع من خلال برامجنا
الموجهة عبر المدياع والتلفزيون تحديد موقفنا ودورنا
في استيعاب هذه القيم او التصدي لظواهر سلبية
فيها نجدها خطرا على مستقبل التطور الاجتماعي
والاخلاقي ... وبات ضروريا ان نقول ان الارتكان
الى مسلمة كانت مقبولة في قيم المجتمع منذ حين
والسكون الى معايير اخلاقية معينة سيؤدي الى
جمود دور هذا الجهاز الحيوي في حياة المجتمع
ويمكن التواصل مع القيم الجديدة بمحتوى منهاج
الراديو والتلفزيون والمعالجات الاجتماعية والاخلاقية

نوضع خطة عبر المدياع والتلفزيون على اساس
واقعية ومنطقية الهدف الرئيس هو الاتصال ،
اذن ينبغي تطويع اساليب العمل ومفرداته على
هذا الاساس ، والمهمة الاصعب تكون في تحقيق
مرازة يومية دقيقة ، يومية بمعنى تحسس مظاهر
التحول في ادق اجزائها للمحافظة على الهدف
الرئيس الاخر وهو : الارتفاع بالمستوى الثقافي
والمحافظة على الاصول النقية للمفردة الفصيحة
الام .

اما المراحل التالية للمستوى التعليمي والثقافي
للمشاهدين والمستمعين فتتصل بملئنا الجديد
فحوى المعلومات الفكرية والاسس التي تستند
عليها للاقتناع والتاثير الى اقصى الحدود ، كيف
تقدم وحدات برامجية تستهدف جميع الشرائح
التعليمية ؟ وكيف نحدد اهدافنا مع كل فئة حسب
مستوياتها الثقافية والتعليمية .. هذا بلا شك ،
هدف هلامي ، جميل في التصور النظري المجرد ،
لكنه يكاد يستحيل عمليا .. لان قدرة الادراك
متباينة كما هو متباين حجم المعلومات - المختزلة
لدى كل فرد .

وها نحن ندرك الان في تجاربنا العملية ان
مستوى الادراك وحجم المعلومات المختزلة مرتبط
بعمليات التطوير الاجتماعي والثقافي للافراد ..

على هذا كله ، تلعب عمليات استقصاء آراء الجمهور بشكل دوري وانتخاب عناصر متفرقة متنوعة من المشاهدين والمستمعين وبأساليب قياس الرأي العام (٣) المعروفة للتوصل الى المستويات الثقافية المتغيرة والنقلات الحاصلة ضمن قوانين التحول ويقتضي ذلك مستوى عاليا من التحليل - اذ لم يعد كافيا تقديم استقصاء واجراء استفتاءات لقياس الرأي دون ان يقف على خلاصات هذه العمليات محللون جيدون يتصل عملهم بمعرفة العوامل المؤثرة في تحديد الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للأفراد واستشراف صورة المستقبل في هذه الاوضاع لذلك لا بد ان ينهض بهذا الدور رجال من نمط خاص يضعون اسس التخطيط البرامجي في المدياع والتلفزيون وتكون خلاصات اعمالهم اساسا للعمل المنظم المبرمج الذي يتصدى للمشكلات الناشئة وفي مقدمتها مشكلة تغير عادة الاستماع والمشاهدة . من دون هذه الخطوة سيقرا رجال التخطيط عبر المدياع والتلفزيون في الغيب ويكون عملهم صحيحا بالصدفة وغير صحيح بالضرورة .

٣ - مجلة الفنون الاذاعية - العدد ١٤ كانون الاول ١٩٧٧ -
بغداد الدكتور مصباح محمد محمود - قياس الرأي
(اساليبه ووسائله) .

واساليب العمل وشكل الصلة مع اهتمامات الناس ومشكلات حياتهم . وهذا الامر ينصب بالدرجة الاولى على الكتاب والمخرجين الذين يحددون في ساعات تنفيذ اعمالهم تفاصيل دقيقة من الحياة تعرض هذا الجانب الاخلاقي والقيمي بنفس القدر من المسؤولية التي تنصب على رجال التخطيط والاشراف .

ان تحديد هذه العوامل كمؤثرات اساسية تفرزها قوانين التحول الاجتماعي والاقتصادي لترسم شكل الصلة بين جبهة الارسال وجبهة الاستقبال عبر المدياع والتلفزيون لا يلفي جملة من المؤثرات ، الجانبية التي لا تنفصل من حيث مكوناتها وثنائجها عن القوانين الرئيسية فمستوى ما تتمتع به المرأة في مجتمع ما من حقوق اجتماعية وثقافية وسياسية والمستوى الصحي للأفراد وحلول قيم حديثة على انقراض القيم العشائرية والقبلية وانتظام العطللة الاسبوعية ومستوى التطور الصناعي وانتشار الكهرباء في عموم مناطق الاستماع والمشاهدة (١٩٧٥) هذه العوامل تؤثر سلبا وايجابا في تحديد حجم الاستماع والمشاهدة من جهة وتحديد سرعة او بطء عادة الاستماع وانتخاب الوحدات البرمجية حسب كل فئة من فئات الجمهور .

قبل هيئة مركزية واحدة . . . ومن المناسب ان نوضح في البدء ان الامر في الراديو يختلف عنه في التلفزيون لسبب ان احد اسس تطوير العمل في الراديو كان اللجوء الى تنوع الخدمة البرمجية لتشمل جميع فئات المستمعين وتلبي حاجاتهم ، وعلى اساس ان مستمع الراديو اقل تركيزا من مشاهد التلفزيون ، وهو مستمع بالصدفة وقلما يكون مواظبا بسبب كثرة الخيارات المنوحة له على الهواء ، لذلك فان السياق الذي نريد ان نسلكه يتعلق بعمل التلفزيون ومشكلة توفير خيارات عديدة امام المشاهد ، فالامر مهم في هذا الجهاز على اساس ان مشاهد الشاشة اكثر تركيزا واكثر مواظبة ، وان هذا الجهاز اعمق تأثيرا في الخلية الاجتماعية عقائديا وتربويا واجتماعيا ، لذلك فان الانار الناشئة عنه ستكون ابلغ اهمية وخطورة وهي تتجاوز حدود الاخبار والترفيه . .

وفي هذا الاطار ، امامنا - كنموذج - حالة بعينها . . فقد دارت مناقشات عديدة حول التمييز والتنوع بين الخدمات البرمجية المقدمة من قناتي البث التلفزيوني في العراق ، وانصب ذلك النقاش على الاشكال والمضامين انطلاقا من ضرورة رسم شخصية متميزة لكل قناة وهذا - اساسا - هو مبرر وجود قناتين .

خيارات مشاهد التلفزيون

ومشكلات المستقبل

من المسائل الملحة التي تثار امام هيئات الراديو والتلفزيون في بلدان العالم الثالث ، مسألة توفير ، عدة خيارات امام المجتمع والمشاهد او اعطائه خيار واحد في اطار التثقيف والتوعية السياسية والفكرية المركزية التي يتغنى الوصول اليها . . . وتطرح اسئلة عديدة : الى اي حد يجب ان تعطى حرية الاختيار . . ولاي جمهور . . ؟ . . وما هي الضوابط التربوية والثقافية اللازمة وستصبح هذه المسألة اكثر عسرا وتعقيدا في المستقبل عندما تنشأ ظروف جديدة للاستماع والمشاهدة يكون الاختيار فيها قائما بشكل طبيعي مع اتساع مديات البث وتغطية العالم بشبكات الاقمار الصناعية والاستغناء عن المحطات الارضية التي تدار مركزيا ، على ان هذه المعضلة قائمة الان في حدود البث التلفزيوني على اكثر من قناة من

والى خواص العمل التلفزيوني ثانيا . . فمن حيث الاهداف تشكل مسألة التنمية الثقافية والاجتماعية احدى المعضلات التي تواجه مجتمعات العالم الثالث ، وهي اكثر الحاحا في بلد كالعراق تنفذ فيه اسمل واكبر برامج التنمية التي تضع في مرتكزات فلسفتها تحقيق هدف تنمية الانسان ثقافيا واجتماعيا واخلاقيا ، وهذا يضع امام جهاز حيوي كالتلفزيون مسؤولية النهوض الواكب للتنمية المادية في حياة المجتمع ، وفي مثل الحالة الراحنة تبرز مسألة تحضين الفرد ضد التيارات الفكرية والاجتماعية التي تشكل عوامل احباط في مسيرة البناء وهي التيارات التي نصفها بانها من بقايا الفكر الاقطاعي والرجعي والبرجوازي والشوفيني والاقليمي ، وللوصول الى مستوى واق من الحصانة ضد هذه التيارات التي قد تتسرب مفاهيمها في تفاصيل صغيرة وجزئية في العمل الاعلامي والثقافي لابد من تركيز وتكثيف الخدمة المباشرة في مجال التوعية بمضمونها الشامل ، الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي . . هذا من حيث الاهداف ، اما من حيث خصوصية العمل في التلفزيون فان الامر يكون اكثر تعقيدا اذا كنا مؤمنين بفكرة ان العمل الفاشل فنيا هو عمل فاشل في الوصول الى اهدافه في التوعية والتثقيف ،

امامنا وجهتا نظر ، تقول الاولى : ان منح المشاهد حرية الاختيار بين نوعين مختلفين من البرامج على كل قناة في وقت واحد (ترفيهي ، وثقافي) (منوع وسياسي) ، وهكذا ، هو الاساس السليم الذي يحقق تنوع الخدمة ويتجاوب مع واقع التفاوت التعليمي والاجتماعي والدوقي ، لدى فئات المشاهدين .

وجهة النظر الثانية تقول : ان عملنا هادف ولاجل ذلك قد نتخلى عن بعض المبادئ التقليدية في العمل . . فطبيعة مرحلة البناء الثقافي والاجتماعي والسياسي تقتضي اعتماد مبدا (تسييس) البرامج بحيث تقدم في وقت واحد على القناتين برامج من فئة واحدة (سياسية وثقافية) مثلا ، وعدم وضع مادة برامجية ترفيهية امام برنامج هاف وجاد سياسيا او ثقافيا . وانه لا بد من اعطاء جرعات في التوعية هي مهمة وضرورية ولازمة في مجتمع يمر في اكثر مراحل النهوض حساسية وخطورة لذلك يجب تركيز المشاهدة عند تقديم برنامج هادف وعدم تشتيت المشاهد في ذلك الوقت . .

امام هاتين المعالجتين لا بد من العودة الى الاهداف الاجتماعية والسياسية المركزية اولا

ولذلك لابد في حالة تعليق مبدا توفير خيارين أو اكثر امام المشاهد ان تتطور الاشكال والاساليب الى مستوى يرتقي بالمادة الثقافية والسياسية ويوفر فيها عوامل الجذب والاستحواذ ..

متى يعطى الاختيار .. ولماذا ؟

ان المعالجة الواقعية خارج اطار التعميمات النظرية المجردة ترجح وجهة النظر الثانية القائلة بالتسييس والتثقيف في المرحلة الراهنة من مراحل التطور الاجتماعي . اننا نقر ان شخصية الفرد - على ما تحقق من تطور نسبي في الوعي - ما زالت وفي قطاعات واسعة غير متبلورة الى الحد الذي يوفر الحصانة العالية أولا ، والقدرة الدقيقة على الاختيار خاصة لدى الاوساط الاقل مستوى في حياتها التعليمية والاجتماعية والثقافية ، لذلك فان الخطط الوطنية العامة للتثقيف والتوعية تمر الآن باكثر مراحلها حيوية ونشاطا ابتداء من العمل الوطني الشامل لمحو الامية مروراً بالتعليم الالزامي لكل طفل بلغ السادسة من العمر حتى اعلى مستويات التعليم وفي مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية والفنية والاعلامية ... واعتمادا على ان التلفزيون هو احدى الوسائل التي تسهم بفاعلية في خلق العادات والقيم الجديدة ؛ لابد من تركيز

الخدمة التي تؤدي هذه المهمة .. فخلق العادات الجديدة هو جزء من السعي لبلورة شخصية الفرد .. ولذلك من هو اجدر من التلفزيون مثلا في خلق عادات جديدة في مجال تحبيب العلم واحترامه وتشجيع القراءة وراء روح الاكتشاف والابتكار واحلال قيمة ان تطور الفرد يقاس بتطور وعيه وثقافته ... هذا كله لا يمكن ان يتأسس كقيم في المعايير الجديدة دون تكرار التوعية على منواله من خلال واحد من اكثر الاجهزة تأثيرا هو التلفزيون ، لان عادة الاستماع والمشاهدة لبرنامج غنائي ترفيهي راقص ليست هدفا اجتماعيا او تربويا او ثقافيا نحتاج الوصول اليه ، بل ان الهدف هو ان نصل لرفع مستوى تذوق هذه الانماط ذاتها من الفنون عندما نرفع مستوى الوعي وتكثف المعلومات المخترنة لدى الفرد المستمع والمشاهد ...

اننا اذا ما قطعنا هذه المرحلة .. مرحلة التنمية الثقافية الشاملة وبناء العادات الجديدة وبلورة شخصية المتلقي حضاريا وتحسينه ضد التيارات الفكرية الهدامة بالمستوى الذي يؤهل للاختيار السليم ... انذاك تكون العودة الى المبدأ التقليدي الذي تتضمنه وجهة النظر الاولى القائلة بتوفير الخيارات العديدة امام المشاهد كواحد من اهداف التلفزيون (تنويع الخدمة البرمجية ..)

... ومن دون هذا التسلسل وارتباط التخطيط
لمستقبل التلفزيون بالتخطيط العام في المجتمع تكون
قد اوقمنا انفسنا في مطب نظري مجرد لا ينسجم
مع طبيعة المشكلات الواقعية ..

مشكلة عالمية مقبلة

● اما الامر الاكثر عسرا فيتعلق بما ينتظرنا
في المستقبل عندما سيكون بالامكان استلام البث
التلفزيوني باجهزة الاستلام في دورنا من اماكن
بعيدة وهي تحمل برامج هيئات تلفزيونية
اجنبية ...

هل هذا ممكن ... وما هو الحل ..؟

هندسيا ، التوقعات ترجح امكانية الوصول
الى هذا الواقع عندما يتم الاستغناء عن المحطات
الارضية في كل بلد بحيث يمكن استلام البث من
اماكن بعيدة بمجرد لس زر جهاز التلفزيون ..

اما سياسيا ، فالامر يختلف ، اذ لا يعقل ان
يكون ذلك مسموحا به لدى معظم دول العالم ، لانه
ليس من مصلحة احد ان يسمح بتطور الامور الى
هذا الحد .. وكمثال على ذلك يمكن قياس الامر
كما يواجهه الاوروبيون ... فرغم ما نلمسه من
تنسيق في سياسات واقتصاديات الدول الاوروبية

وما يمكن ملاحظته من تماثل في النظم الاجتماعية
والاقتصادية السائدة فيها راينا ان اعضاء اجتماع
لجنة البرامج الاذاعية في الدورة السابعة والعشرين
لاتحاد اذاعات الدول الاوروبية الذي حضرناه في
جنيف اواخر عام ١٩٧٧ قابلوا هذه المسألة عندما
عرضت للبحث بعبارة « ان هذا الامر غير مسموح
به سياسيا .. »

ان ما يسمى بـ (التلفزيون العالمي) للدلالة
على التبادل الواسع في مجال البث البرامجي عبر
القارات كان يجابه واقعا عدة مشكلات جعلته
مجرد وهم ، منها مشكلة اللغة وتباين وجهات
النظر السياسية واختلاف الاعراف القانونية وعدم
تماثل انظمة التمويل المالي الى جانب اختلافات
تفصيلية عديدة ... رغم هذا كله يجب عدم
التخلي عن السؤال الملح : ماذا لو حصل ذلك ...
وهل من بديل ؟

لقد حاولت بعض الدول التصدي لبث هيئات
اذاعية معينة بانتهاج طريق التشويش على موجاتها
وبخاصة المتوسطة لمنع استلام بثها بشكل واضح

الخدمة البرامجية وتلازم معه حركة انماء ثقافي واجتماعي شامل لبلدان العالم الثالث التي يهددها الغزو الثقافي الذي قد يجد في التلفزيون طريقا جديدة في الوصول الى الاهداف التي عجز عن الوصول اليها بوسائله القديمة ، وسيوفر هذا النمو الثقافي والاجتماعي وذلك التقدم التقني والارتفاع في مستوى الخدمة البرامجية الى توفير مستوى اعلى من التحصن والتصدي ازاء ما يمكن ان تواجهه مجتمعات العالم الجديد .. نقول هذا، مؤكدا ، على واقع ان المستوى العام للخدمة البرامجية لهذه البلدان في الوقت الحاضر هو فعلا دون مستوى الخدمة التي تقدمها هيئات التلفزيون المتقدمة من حيث اساليب العمل وتوفير عوامل الجذب حتى بالوسائل الراسمالية المعروفة .. واقول هذا آملا في ان التنبيه الى مشكلات المستقبل يشكل عامل ارادة مضافا للتقدم والتطور الى امام .

احد البدائل : التلفزيون القابلوي

يمكن التنويه الى طريقة سهل انتهاجها لملء قنوات اجهزة الاستلام التلفزيونية التي تتلقى البث المحلي والخارجي ، بتوفير خدمات برامجية

في محاولة لتحويل اهتمام المستمع عن تلك الاذاعات وقد اكدت تجارب سنوات طويلة ان هذه الطريقة كانت تحمل في ابعادها مردودا سياسيا معاكسا ينبع من رغبة المستمع في اللهاث وراء كل ما هو ممنوع ، ولذلك كان بالامكان التحول الى الموجات القصيرة .. ولا يمكن ان نتصور اساسا ان التشويش في مجال التلفزيون هو اسلوب مفيد في مواجهة تحديات المستقبل رغم عدم وجود فرص عديدة للمشاهد كما هو الحال في الراديو (تعدد البث على موجات متوسطة وقصيرة) . كما ان بعض التجارب التي انتهجتها دول اخرى في التصدي للبث الاذاعي من خارج اقطارها بقيت محدودة كما هو الحال في صناعة اجهزة استلام للراديو يتوقف الاستماع فيها على المحطات المحلية والقومية على غرار تجربة الاتحاد السوفيتي ..

ان الحقيقة الامثل التي يمكن التثبيت بها قبل الحديث عن البدائل .. هي ان التطور التقني المقبل لن يكون حكرا على احد دون اخر .. كما ان هذا التطور تقنيا سيرافقه تقدم ونمو في مجال

يكون للبث مركز استعلامات في كل منطقة ينظم تلبية حاجات المشتركين من المشاهدين الذين يتصلون سلكيا بهذا المركز وبمجرد طلب اي رقم يمكن الحصول على انواع محددة من الخدمات ، في مجال تدريس الطلبة حيث يمكن تركيب حاسبة الكترونية تعطي الاجابات مباشرة . ويمكن استخدامه في مجال الطب وفي الحصول على المعلومات التي تخص الحياة اليومية ، بخاصة في مجال حركة القطارات والطائرات والصيدليات الخافرة واحوال الطقس وتتطور هذه الخدمات اذا ما اردنا لتقديم معلومات في الاحداث السياسية التي تقع يوميا وفي مجال التثقيف العام والخدمات البرامجية المسلية والمنوعة .

محلية وقومية في مناطق معينة عبر (التلفزيون القابلوي) ، الذي يمكن ان يكون التلفزيون التربوي في العراق مثلا احدى روافده الرئيسة في حالة تحقيق نقلة نوعية في مستوى خدماته البرامجية شكلا ومضمونا بما يتناسب مع اهتمامات الطلبة والهيئات التدريية .

والتلفزيون القابلوي ، تجربة معمول بها حاليا في عدة بلدان لخدمة فئات اجتماعية معينة او مناطق محددة ، وقد بلغ عدد المستفيدين من هذه الخدمات في كندا ٢٥٪ من السكان وفي بلجيكا ٢٠٪ من السكان ... ويتم البث التلفزيوني^(١) عبر انايب او من خلال الاسلاك وقد انتشر في المناطق التي تكون فيها الخدمة البرامجية العامة على الهواء ضعيفة ، ويوفر البث عبر (القابلوات) اثني عشر خدمة برامجية عبر اثني عشر قناة بين يدي المشاهد وآنذاك يكون قد تم ملء جميع قنوات الاستلام بحيث لا يكون هناك منافس من الخارج ، ومن حسنات البث عبر الانايب والقابلوات انه يكون واضحا ولا يتأثر بالتشويش .

(١) استخدامات شبكة القابلوات المحورية لتوصيل البرامج التلفزيونية (التلفزيون القابلوي) - مجلة (الفنون الاعلامية) . العدد الثاني - كانون الثاني ١٩٧٢ .

ان كل يوم يمر يشهد انفجار مزيد من
البراكين في عالم الانفعالات حيث يفاجيء فريق
فريقا آخر بابتكارات ووسائل واساليب جديدة
لبث مزيد من المعلومات المعبرة عن قيم بعضها
لخدمة اهداف سياسية واقتصادية وحضارية
محددة .. لذلك اصبح مستقبل المجتمع الانساني
محفوفا بتخوف شديد ليس من جانب الاعلاميين
والتقنيين الذين يصعدون ثورة وسائل الاتصال

(١) عام ١٨٦٥ تنبأ عالم الفيزياء الانكليزي (جيمس كلارك
ماكسويل) بوجود الموجات الكهرومغناطيسية وقد البت
العالم الالماني (هنريش هيرتز) عام ١٨٨٥ صحة نظرية
ماكسويل وقام خلال عشر سنوات باجراء التجارب على
طرق انتاج الموجات الكهرومغناطيسية . وكانت تلك
المحاولات مقدمة لما حققه الايطالي (جوجيلمو ماركوني)
منذ عام ١٨٩٤ ثم عام ١٨٩٥ عندما اجري تجربة لارسال
اشارات لاسلكية عن طريق راديو تلفراف . وفي عام ١٩٠١
استمع ماركوني الى رسالة بعث بها عبر الاطلس من
محطة ارسال في كورنوال في انكلترا الى سان جسون في
نيو فونلاند من (كتاب الاذاعة بالراديو والتلفزيون)
تأليف : كينجسون وكاوميل ووالف ليلي ، ترجمة نبيل
بدر .

مخاطر معتملة على الجهاز العصبي للمتلقي

لابد من ملاحظة حقيقة اساسية في تاريخ
العمل الاذاعي وهي ان التطورات التقنية والبرمجية
قد سارت بشكل مخيف في سرعته ، فخلال (١١٢)
سنة فقط تحولت فكرة صغيرة تنبأ بها عالم
طبيعيات انكليزي بوجود الموجات الكهرومغناطيسية
الى واقع مثير يشهد تطورا (الفعل) الاعلامي
الاخباري للراديو ليصل الى ما يحفل به اليوم من
فلسفات اعلامية للراديو وبرامج عمل وخطط
للاتصال .. ان هذه الوتيرة من التطور تستحق ان
نصفها بانها نعمت من التطور الذي يشعرا بخشية
المعجز عن التصدي للمخاطر والسلبات المرافقة
وخاصة ما يتعلق منها بالاثار المحتملة التي تلحق
بجمهور المتلقين . ان التطور يوحى احياء عميقا
باننا قد لا ننجح لمعالجة المشكلات بالسرعة التي
تحصل فيه هذه الاضافات والتغيرات ..

لبث مزيد من المعلومات (٢) ، بل من اخصائين يعالجون موضوعات اخرى من حياة الانسان وطبيعة علاقته بوسائل الاتصال التي تلاحقه في كل مجال من مجالات حياته اليومية . ان كل مساحة في (جغرافية) الفرد المعاصر محاطة بحصار اعلامي ثقيفي عبر وسائل شتى للاتصال ، ان الذي يجعلنا نذهب الى هذا التنبيه حول المخاطر التي تصيب جوانب نفسية وعصبية وبايواجية من الملقني هي المؤشرات الراهنة والسباق الخارق للاستحواذ على المستمع والشاهد ومحاصرته بوفرة من المعلومات البثوث عبر وسائل سريعة التطور ومتعددة الاشكال . ولا شك ان النتائج المحتملة على الجوانب النفسية والعصبية ستؤدي الى ردود فعل سلبية معاكسة للفعل الاعلامي الذي يراد له ان يؤثر على انسان مجتمع الاتصالات المعاصر . وعلى هذا فان احدى مجموعات العمل التي تكونت في ندوة (الاذاعة في الثمانينات) التي انعقدت في اوتاوا بكندا عام ١٩٧٦ ذهبت للتحذير

(٢) لا يقصد بالمعلومات نشرات الانباء القومية والعالمية حسب بل يضاف الى ذلك كل المعلومات المقدمة من خلال الراديو في برامج الخدمات والبرامج التعليمية والثقافية والصحية والسياسية والوثائقية .. الخ . كما عرفها كذلك (كتاب الاذاعة في الثمانينات) الجزء الثاني .

من : « ان المستمع يملك وسائل دفاعه الخاصة لانه هو الذي يدير مفتاح جهاز الاستقبال ولذلك فان على المنظمات الاذاعية ان تفكر في جماهيرها وردود فعلها المحتملة وتضع حساباتها تبعا لذلك . »

ان اولى المخاوف ترجع الى ان المخططين في اجهزة الاتصال وبخاصة (الراديو والتلفزيون) لا يقدرّون المخاطر اللاحقة بالجهاز العصبي المركزي لذلك نرى ان ندوة استوكهولم لسكرتارية دراسات المستقبل عام ١٩٧٤ كانت تدعو لوضع كوابح وضوابط امام رجال الاتصال لحماية الجوانب العصبية والنفسية لدى جمهور الملقين (٣) .

(٣) يقول الدكتور نوري جعفر في الصفحة (٩١) من كتابه الجهاز العصبي المركزي - مطبعة الزهراء - بغداد : ١٩٧١ :

« المنظومة الاشارية اللغوية في الدماغ التي يتفرد بها الانسان لارتباطها بالفكر الانساني الذي اوضح صفاته التجريد والتعميم -

abstraction and generalization

هذه المنظومة الفسلجية تعتمدها الاضطرابات البيولوجية اما بتاثير اشارات داخلية ، وهي مؤلفة من المراكز الخفية اللغوية وجهاز النطق وخواص تشرحية وفسلجية اخرى تتعلق بجهاز السمع فيما يتصل بسماع الكلمات وتعلق

←

وتدل الرؤية الموضوعية على ان المصفاة الطبيعية التي تلتقي بشوائب العمل وتبعد مخاطره هي اللجوء الى (التخطيط) ووضع هذه المخاطر نصب اعين رجال الاتصال على تباين مواقعهم بين ادنى موقع امام الميكرفون وعلى الشاشة حتى اعلى مستويات القادة الاعلاميين والمخططين ..

ولا يمكن للتخطيط ان يكتسب (علميته) وان يحقق نتائج مفيدة دون الاستناد الى الاحصاءات المنظمة والدراسات الميدانية والمعرفة الدقيقة في طبيعة الجهاز العصبي المركزي ومدى تحمله قبل ان (ينهار) فنفقد كل شيء .

وبقدر ما تتصل المخاطر التي يجري التنبيه حولها بالتخطيط عندما تكون المعادلة ، الحصانة = التخطيط فان المسألة تأخذ شكلها الحاد في الاذاعة والتلفزيون .. والآخر مشكلته اكثر حدة .

ثمة اسطورة المانية عن مارد خرافي جبار حل باحدى القرى فهدم فيها ما راى وحطم كل ما مر عليه ، وعندئذ تشاور الحكماء والعقلاء في كيفية محاصرة هذا المارد فقرروا ان يركبوا له

بجهاز البصر فيما تملق بقراءة الرموز اللغوية المكتوبة ومن اللغة ذاتها من حيث محتواها الذي يعبر عن نفسه على هيئة اشارات صوتية خاصة عند النطق بالكلمات».

عقلا في راسه عندما كان يفظ في نومه .. ومنذ ذلك الحين صار المارد القوي طيعا مرنا يعمل في خدمة اهل القرية يساعدهم في اعمالهم ويداعب اطفالهم ويبني معهم دورهم ويحصد في حقولهم (٤)، هكذا اذن ، فتحجيم المارد ووضع عقل له جاءنا بالحل وانقذنا من الهلع .. وحاله حال التلفزيون الذي لا يمكن تفويت الفرص امام الهيجانات المصرة المدمرة في حياة مشاهديه والمتفاعلين مع اشعاعاته الاب (التخطيط) . وعلينا ان نأخذ بالاعتبار ان الراديو والتلفزيون يتميزان بكونهما يشبعان حاجة طبيعية لدى الفرد في الاتصال والاتحاد مع ابناء جنسه . ولا بد لاجل ذلك ان يكون وسيلة ببناء اجتماعي مضافة وفعالة وليس العكس ..

والواقع ان معرفة التأثير العصبي والنفسي والبايولوجي يحتاج الى دراسات واحصاءات لا تتوفر في اقطارنا الناهضة ولكن الحجم الملحوظ لتفاعليات وسائل الاعلام تجعلنا نشعر بأن مخاطرها لم تعد على الابواب انما دخلت بيوتنا وهي تسكن في الحجر الاخيرة من هذه البيوت . فالتصنيف الاعلامي اليومي يوغل في تأثيره في الجانب النفسي

(٤) سعد لبيب : التخطيط الاعلامي - اصدار معهد التدريب الاعلامي والتلفزيوني - بغداد ١٩٧٢ .

والعصبي بتلاحقه وتكراره ، حتى لقد جاءت احدى احصائيات الرابطة الاميركية لوكالات الاعلانات (والتلفزيون الاميركي خاضع للاعلان التجاري اساسا) .. تقول : ان كل اميركي يتلقى يوميا (1600) قذيفة اعلانية ، وهذا الحجم من الفعالية الموجهة الى الفرد ستصيب اجهزة التلقي وتعطل حيوتها بلا شك .. بل ستشأ مشكلة اعوص هي : ما هي امكانية التلقي لدى الفرد ومدى قدرته على الاستيعاب .. ؟ وقبل ان اجيب على هذا السؤال ، اذكر في مجال مسألة التخطيط ، ان هذه الكلمة مطاطة للغاية خاصة عندما تكون بين ايدي رجل الاعلام ولذلك لم تعد مشيرة او جذابة على الاقل في مؤسسات لم تتوفر على برامج تخطيطية حقيقية تعطي نتائج ملموسة . ولقد فاجأني احدى المتدربات في معهد التدريب الاذاعي والتلفزيوني في بغداد عندما لمحت لي بهذه الفكرة وارادت ان اعطيها نموذجا لكيفية الموازنة بين المحافظة على الجانب العصبي والبيولوجي لدى الانسان والخطوة المقصودة ... هنا يمكن الوقوف على معنى انتهاء البث التلفزيوني في بعض الاقطار الاشتراكية في وقت مبكر ، ان مثل هذا القرار ليس منفصلا عن رؤية تربوية وسياسية على تماس مع فكرة ان الانسان طاقة عمل وانتاج معرضة للوهن

والضعف والخلل اذا لم ندرس ما يتعرض له هذا الانسان من تأثيرات خارجية تنال من اجهزته الحيوية ، كالجهاز العصبي والجوانب البيولوجية فالقرار يعني ببساطة عدم ارهاق هذا الفرد المنتج حتى ساعة متأخرة من الليل ، ارهاقا عصبيا وبيولوجيا وهو مطالب بالتهوض مبكرا للانطلاق الى العمل بجهاز عصبي حيوي وطاقة جسمية مكتملة ، ولذلك كان قرار اختصار البث دعوة لافراد المجتمع (عدا ليالي ايام الاعياد والمعتل) ان يذهبوا الى مضاجعهم ليغيقوا مبكرين لا تلاحقهم الصور التي ارهقت الذاكرة والاعصاب ساعات اطول مما يجب ..

اذا اعتبرنا فعاليات وسائل الاتصال « تنبيهات » للعقل الانساني ، فان الحاجة الطبيعية للانسان تقضي بوجود تنبيهات حسية (سمعية وبصرية ولسية) بقدر معين وقد اثبتت بعض التجارب التي اجراها علماء النفس ان اليقظة العقلية والانتزان العقلي يهتزان في حالة فقدان التنبيهات الطبيعية .. المهم ان يكون هناك قدر طبيعي غير مبالغ فيه .

ثمة تجربة معروفة تؤكد هذه الفرضية ، اجريت على طلبة جامعيين عصبت عيونهم ووضعت

في اياديهم قفازات تسمح بتحريك المفاصل فقط .
 ووضعت الى جانبهم مراوح كهربائية ذات صوت
 رتيب يحجب سماع اية اصوات اخرى ، نام الطلبة
 اول الامر فترة من الزمن ثم قل نومهم ثم اصابهم
 ملل وضجر وعبروا عن حاجتهم الى تنبيهات تأتيهم
 من الخارج ، راحوا يغنون ويصرخون ويكلمسون
 انفسهم ، ثم ظهرت عليهم علامات عدم الاستقرار
 وبدأت منهم حركات عشوائية . لقد اختل توازنهم
 واصبح من المستحيل ان تستمر التجربة اكثر من
 يومين . خلصت التجربة الى انه في حالة فقدان
 التنبيهات الطبيعية الخارجية يكون الفرد عاجزا عن
 تركيز انتباهه في اي موضوع اولا ثم تجعله
 يتسلم لاحلام اليقظة .. ويفقد التفكير المنظم ..
 وبعض الطلبة بدا عاجزا عن التفكير مطلقا ..

اذن التنبيه حالة طبيعية للجهاز العصبي ،
 ولكن المخاطر الآن تكمن في (الافراط) في التنبيه
 الذي يؤدي الى اختلال توازنات عديدة ، وعلينا ان
 نوازن بين ما يتوفر من امكانات للاتصال بين ايدينا
 طاقة الانسان وقدرته على تحمل هذه الوفرة في
 المعلومات ، يقول تقرير ندوة استوكهولم : لا بد من
 ابداء مزيد من الاهتمام بالتركيب الاساس للجهاز
 العصبي المركزي للانسان ومعرفة امكانية عجزه
 عن العمل .. ان ربع السكان على وجه المعمورة هم

القادرون على استيعاب المعلومات المعقدة .. وهذا
 يعني ان الغالبية العظمى جهاز عصبي تسم
 معالجاته للمعلومات بالقصور بعض الشيء .

ثمة حقيقة متفق عليها « ان هناك كما زائدا
 الى حد مبالغ فيه من المعلومات » وكل انسان مهيأ
 لحمل كم محدد من المعلومات منذ صفره يتباين من
 فرد الى آخر .

علماء النفس قلقون لان البحث الجاري الان
 في غمار ثورة وسائل الاتصال وبراكين المعلومات لم
 يأخذ بالحسبان الجوانب العصبية وحتى
 البيولوجية ويجب ان لا تنسى هذه التقنيات
 المتطورة هذه الحقيقة . اذا اردنا ان نصل الى اكبر
 المجموعات البشرية فعلينا ان نبحث في امر الثلاثة
 ارباع من السكان ذوي الطاقة الاقل على
 الاستيعاب ، بتحسين ظروف واساليب الاتصال
 بهم وتبسيط المعلومات للقاصرين الذين يقصد بهم
 (المرضى والعاجزون والاقبل نضجا وادراكا
 والمرهقون فكريا وعاطفيا ونفسيا .. الخ) ..
 وكما جاء في تقرير استوكهولم : من الخطا ان نعتقد
 ان المجتمع كله مؤهل باجهزة افراده العصبية
 لاستقبال المعلومات البثوثنة عبر الراديو
 والتلفزيون ..

على اعتماد اسلوب متقن في بثها بمعنى اتقان المعرفة
بمن يقف على الجانب الآخر من ارسال الراديو
والتلفزيون . ايضا . . يمكن ان نضع المعلومات في
اطار من (الطرافة) الجذابة وان نوازن بين
المعلومات وبين المواد التي تهيب لسترخاء الجهاز
العصبي المركزي .

اعيد ما انتهى اليه المجتمعون في ندوة
استوكهولم عام ١٩٧٤ بقولهم : ان من الحقائق
التي امكن قياسها فيزيائيا ، ان كمية التنبيه
ليست هي التي تحدد حجم التأثير انما الذي
يحددها هو النوعية الذاتية للتنبيه . .

وعند هذا الحد ، سيصبح عملا غير مجد ان
نتصور امكانية الوصول الى اهداف ملغوسة من
الجري وراء فكرة ان التكرار لمنط واحد من
المعلومات يؤدي الى (غسل دماغ) ويصمم افطارا
معينة ، اننا حتى في حالة ابتغاء التعميم ونشر
معلومات معينة لتمحو معلومات منافسة سبقت
وصولها الى المتلقي لا بد ان نبحث عن اساليب
مبتكرة تحقق الهدف مع المحافظة على التنوع
واختيار زوايا جديدة وموضوعات تفصيلية
تندرج في اطارها تلميحات يفضل ان لا تكون
مباشرة لتعبر عن اتجاه محدد . . . ومن دون

اننا الان في حالة (تنبيه زائد) ومفرط ،
(كم زائد) من المعلومات ايضا ومن مخاطر ذلك
ان يقود الى نتائج عكسية من قبل المتلقين الذي
صار يرفض الحد الذي يتجاوز طاقته على
الاستيعاب وحاجته الطبيعية الى المعلومات . وهذا
الكم الزائد يؤثر ايضا على النشاط الكهربائي للمخ
وعلى وظائف الجسم الاخرى « ضغط الدم ،
الافرازات الهرمونية ، توتر العضلات ، ضيق
التنفس ، سرعة التنفس ، ضربات القلب . .
الخ » (٥) .

والحل بايدينا ، المهم اسلوب بث المعلومات
واختيار الوقت المناسب ودراسة الواقع التعليمي
ومستوى الادراك لدى جمهورنا وتركيب الجهاز
العصبي وطاقته ، ولذلك امامنا ان نسأل انفسنا
دائما عن المفزى النفسي للمعلومات ، وان نعمل

(٥) يذكر الدكتور نوري جعفر في المصدر السابق ص ٢٠٦ :
« لقد ثبت مختبريا ان المشبهات الخارجية تستطيع
ان تترك انوارها ايضا في اعضاء الجسم الداخلية وليس في
القشرة المخية وحدها . وانصح ذلك بجلاء عندما برهنت
تجارب بيكوف لاول مرة على حدوث ذلك الاثر في الكلبتين ،
ثم بعد ذلك وعلى اساسه في تجارب لاحقة على اعضاء
الجسم الداخلية الاخرى . »

الاستناد الى المخاطر التي سيدركها جمهور الراديو والتلفزيون لامحالة والعمل في ضوءها على اعادة النظر لتصميم البث اليومي وحجم المعلومات نسبة الى حجم عوامل الجذب وفترات الاسترخاء المطلوبة في العقل والوجدان اللذين نتوجه اليها من دون ذلك ، محتوى العمل اطاره المنظم البرمج الى صيغة مشوشة مرتبكة تتميز عن الفعل الاعلامي الهادف بكونها (جلبة) و (فوضىاء) مرتبكة لاتقدم صفحات منظمة تتوازن مع حاجات صفحات العقل المتلقي في ظروف مكانية وزمانية محددة ولفئات محددة بالقياس المسبق والملاحقة الدائمة .. بهذه الطريقة نصنع خطوات سليمة في اتجاه الاهداف لاننا تكون قد عرفنا اية وسائل نستخدم وفي اية ظروف ...

ما جدوى ابتكار أجهزة استلام صغيرة للراديو والتلفزيون ؟

لم يعد مشاهد التلفزيون وهو على مشارف الثمانينات قنوعا بما كان منذ عدة سنوات أمرا لا يصدق حصوله وأمنية لا تطالبها الاماني . فالمطالبة بتنويع الخدمات وايجاد قنوات عديدة لتلبية الحاجات المتنوعة للجمهور وتوفير فرص اكبر لاختيار الانماط المفضلة لدى فئات اجتماعية متباينة المستويات ثقافيا وتعليميا واجتماعيا واقتصاديا ، والبحث عن صورة ملونة دقيقة والحصول على مشاهدة مباشرة لاحداث تقع خارج الحدود عبر شبكات الاقمار الصناعية الدولية كل هذا اصبح جزءا من المطالبة اليومية ولم يعد نوعا من الاماني او المعجزات مستحيلة الوقوع ووسنك هذه الحاجات المتجددة يعلن بين حين واخر عن التوصل لاختراع اجهزة استلام صغيرة

الصراع للاستحواذ على المشاهد وتحقيق تأثيرات
اعمق في وجدانه وعقله . . ؟

ان طبيعة التنافس بين هيئات وسائل
الاتصال في المراحل المنظورة وظروف التلقي
بجوانبها النفسية والبايولوجية والعقلية تعطينا
اجابة سريعة ملخصا انه لن تكون لمثل هذه
الابتكارات في مجال التلفزيون (وسناتي على
موضوع الراديو) دور مهم في مستقبل وسائل
الاتصال وان استخداماتها ستبقى محدودة غير
قابلة للانتشار . . ولتعميق هذا الاستنتاج
نتوقف عند المؤشرات التالية :

اولا : منذ اكثر من ثلاثين عاما عندما بدأ البث
التلفزيوني يدخل البيوت ويطرح نفسه على
كل عائلة ليشد انتباهها ويجذب عيون ابنائها
سفارا وكبارا تعالت سيحات وتحذيرات
الاطباء الى جانب الاختصاصيين الآخرين من
مخاطر (شاشة التلفزيون) التي تشع حزما
ضوئية هائلة في العيون المحدقة فيها ؛
ووضعت شروط للمشاهدة الصحية تقوم
على الابتعاد عن الشاشة بما يزيد على
الترين كما اصبح مفضلا الجلوس امام جهاز
العرض الاكبر الذي يعطي صورة اوضح ،

وصغيرة جدا للتلفزيون او المدياع ، ويطلق على
هذا النمط من الابتكارات تسميات مختلفة فيها
(اصغر جهاز تلفزيون) او (تلفزيون المستقبل)
او (الميني تلفزيون) او (تلفزيون الجيب) ،
وقد كان للخبراء اليابانيين والاميركان عدة
محاولات في انتاج اشكال مختلفة لاجهزة استلام
تلفزيونية صغيرة على نطاق محدود لم يتطور
تجاريا لكي يتوفر لجمهور واسع كما هو الحال
مع اجهزة التلفزيون بالاحجام الاعتيادية . وفي
انكلترة تم عام ١٩٧٧ بعد دراسات دامت اكثر من
عشر سنوات ابتكار جهاز تلفزيون اطلق عليه اسم
(اصغر جهاز تلفزيون في العالم) وعرف بانه
(تلفزيون جيب) ، حجمه بحجم آلة الحاسبة
الصغيرة وهو يزن (٣٦٠) غراما ، طوله خمسة
عشر سنتمترا وعرضه عشر سنتمترات ، اما
مساحة الشاشة فهي ٣٧٥ سنتمترا فقط .

في حين تم ابتكار اجهزة اخرى بحجم علبة
السكرات وهي اشكال صغرت كثيرا عن حجم اجهزة
الاستلام التي سبق التوصل اليها ووضعت في
السيارات الصغيرة وكانت مساحة شاشة العرض
فيها لا تتجاوز عشرين سنتمترا مربعا .

والسؤال المركزي الذي تثيره هذه المحاولات
. . ما هو جدواها . . ؟ وما هي اهميتها في مستقبل

بل لقد بلغت الدعوة مستوى آخر بحصر
المشاهدة بالبث الملون حفاظا على مستوى
البصر وقوته وتحصنا ضد المخاطر
المحتملة ..

ثانيا : ان من الحقائق التي يمكن استنتاجها في
مسار التطور التكنولوجي لوسائل الاتصال ،
ان تقدم هذه الوسائل وتراكم الخبرات
الصناعية واتساع دائرة الانتاج وزيادة
الكميات المروضة تؤدي الى انخفاض
مستمر في اسعار اجهزة التلفزيون الاعتيادية،
ولذلك لن تكون هناك حاجة للتوجه الى
الاجهزة الاصغر حجما اذا ما تباينت الاسباب
الى حد بسيط .

ثالثا : ان استخدام هذه الاجهزة الصغيرة سيبقى
محدودا باغراض معينة لا يتجاوزها الى ابواب
العائلة التي تشكل وحدة مشاهدة متكاملة
للتلفزيون . . وهذه الاغراض تتعلق
باستخدامات التلفزيون المتصل باجهزة الهاتف
 واجهزة السيارات الصغيرة ، وعمل
الندويين الاعلاميين الذي يقتضي متابعة
البث التلفزيوني من اماكن بعيدة عن مركز
البث ويكون الامر قاضيا بحمل اجهزة
صغيرة وخفيفة تعمل على البطارية ..

ان هذا كله يدل على ان هذه الابتكارات لن
تكون في متناول العائلة باعتبارها الجمهور
الحقيقي للتلفزيون وان التوسع التجاري في نشر
هذه الاجهزة سيبقى محدودا على عكس الاحتمالات
المترقعة في مجال اجهزة الراديو ، فقد كان التوصل
الى اجهزة الترانستور الصغيرة احد اسباب
استعادة الراديو لفعالياته بعد التحدي الذي
واجهه بانتشار اجهزة التلفزيون على نطاق واسع
عندما اقتضى الامر تنوع عوامل جذب المستمع
واعادته الى حظيرة الاستماع التي غادرها الى
وسيلة اكثر جاذبية وتأثيرا على الحواس و
تتفوق بالصورة الى جانب الصوت . لذلك جاء
ابتكار اجهزة (الترانستور) عملا مناسباً
لاستعادة اهتمام المستمع بالراديو بتوفير جهاز
استلام رخيص وخفيف ويؤدي المهمة نفسها
التي تؤديها اجهزة الاستلام كبيرة الحجم .

وعبر هذا التصور فمن المتوقع ان تلقى
الابتكارات الجديدة في صناعة اجهزة استلام
صغيرة للراديو (1) رواجاً لا يقلل من الدور الذي
يؤديه حالياً ويمكن الاستناد في ذلك الى عوامل
عديدة منها :

انه على الرغم من استمرار البث الاذاعي على الموجات القصيرة وبخاصة للبرامج الموجهة الى البلدان البعيدة تبقى الموجات المتوسطة هي الاوفر حظا في الحصول على مستمع يفضل الصوت الاوضح والاقوى ولذلك فان اجهزة الاستلام الصغيرة تملك ضمانة الاستمرار بتوفيرها الاستماع على هذه الموجات المتوسطة او الطويلة التي صارت اكثر انتشارا في السنوات الاخيرة .

ان الشباب يشكلون الفئة الاكثر اهتماما بالراديو وبرامجه المتنوعة ولذلك فان الاشكال الصغيرة المبتكرة هي اكثر مناسبة لهم في اماكن الاستماع المتغيرة .

ان عدم توقعنا انتشار اجهزة التلفزيون الصغيرة مع توقعنا انتشار اجهزة الراديو الصغيرة على نطاق اكثر اتساعا يستند الى واقع ان جمهور التلفزيون جمهور شديد التركيز وهو بحاجة الى صورة كبيرة وواضحة تشبع هذا التركيز على عكس جمهور الاذاعة الاقل تركيزا المتنقل في لحظات على عدة محطات للبث بادارة بسيطة لمؤثر الراديو .

(1) ترفى السيد - ميشيو اوكامونو - احد المهندسين اليابانيين المشاركين في ندوة الاذاعة في الثمانينات التي نظمتها اتحاد الاذاعات الاوربية في اوتواوا عام 1976 جملة افكار حول اشكال الراديو في المستقبل ونشرها كتاب (الاذاعة في الثمانينات) الجزء الثاني - اصدار اتحاد اذاعات الدول العربية - الامانة العامة رقم (19) صفحة 177 - 178 كما يلي :

1 - جهاز راديو كاسيت :

هذا النوع من الاجهزة المركبة فيه اداة لتسجيل اشربة الكاسيت لتسجيل الاشارات على الهواء ، وقد شاع استخدامه على نطاق واسع . ومن المتوقع ادخال تحسينات اكثر على هذا الجهاز .

2 - جهاز راديو يعمل بالتحكم من بعيد :

المستمع في وضع سلبي بالنسبة لجهاز الاستقبال ، والمتوقع ان رغبة المستمع في استخدام جهاز استقبال على نحو اكثر ايجابية سوف تشدد ، وهناك طرق ووسائل مختلفة للاستجابة العملية لهذه الرغبة ، منها على سبيل المثال ، تركيب اداة داخل جهاز الراديو تعطى امرا بالتسجيل الاوتوماتيكي لبرنامج اذاعة ما عند سماع اشارة جرس نغفون مرتبة مسبقا برنين الجرس لعدد معين من المرات لتتقي الاداة تردد المحطة التي رغب المستمع في تسجيل برنامجها وببدا التسجيل .

3 - جهاز راديو سهل السيطرة :

تركيب اداة تعمل بالضغط على زر داخل جهاز الراديو يستطيع المستمع بواسطتها ان يسيطر

الجهاز على ترددات سابقة الترتيب من نوع السمة
المفمنة AM والتردد المضمّن FM
والموجة القصيرة SW ، بمجرد لسة الزر .

٤ - جهاز راديو مبرمج الفيبت :

تركيب حاسب الكتروني صغير داخل جهاز الراديو
يحفظ البرامج التي يرغب المستمع في الاستماع
اليها طبقا لجداول البرامج كتلك التي تنشرها
المصحف مثلا ، ويعمل الجهاز من حيث الفيبت او
تسجيل البرامج المرغوبة طبقا للمعلومات التي يقدى
بها الحاسب الالكتروني .

٥ - البني راديو : [وتوقع ان يصمم هذا النمط
البتكر التميز بصغر حجمه وسهولة استخدامه]
- المؤلف - .

كما ان جهاز الراديو اصبح الان لا غنى عنه بالنسبة
لقائد السيارة ، فمن المفهوم انه سوف يكون هناك
طلب ملح لاجهزة استقبال يستطيع المستمع
استخدامها اثناء سيره على قدميه ، وفي الوقت
الحاضر يستطيع جهاز الترانستور بسماعة الان
ان يلبي هذا الطلب الى حد ما ، ولكن جهازا
مستدق الحجم ، بحجم سماعة الاذن مثلا ، سوف
يلبي هذه الحاجة على نحو افضل ، وبشجع على
استخدام اوسع للراديو .

٦ - جهاز راديو ذو دقة عالية :

هناك فروق معينة في نوعية الاصوات الطبيعية .
وفي النية تقديم الدراسات والبحوث التي تستهدف
التقليل من هذه الفروق والتنيز بامكانات اعادة
انتاج الصوت بامانة .

المحتويات

- ٣ ١ - المستقبل والارادة
- ١٠ ٢ - خطوات نحو اذاعة قومية
- ٢٧ ٣ - تفرير عادة الاستماع والشاهدة
- ٢٨ ٤ - خيارات مشاهد التلفزيون
ومشكلات المستقبل
- ٥٠ ٥ - مخاطر محتملة على الجهاز العصبي
للمتلقي
- ٦٣ ٦ - ما جدوى ابتكار اجهزة استلام
صغيرة للراديو والتلفزيون



دار الحرية للطباعة - بغداد
١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

أحد مؤلفاته السامية في تفسيره الموهل ، قام الصياغ
أحد لغزات في علم المورثات ، دأب عبد الله صديق
أحد مؤلفاته في تاريخ الفريضة ، و ابن ابراهيم السعدي
أحد الإسطورية ، و ابن سينا ابراهيم
عبد بروج باني في ترجمة جبر ابراهيم جبر
أحد التاريخ الاثني عشر االوستة ، ترجمة و ترجمه
عبد ابراهيم و مؤلف ، و مؤلف ، و مؤلف
عبد الرواية و مؤلف ، و مؤلف التفسير
أحد المطبوع العامي الدين ، و مؤلف و مؤلف
أحد مؤلف في التاريخ ، و مؤلف و مؤلف
أحد مؤلف في التاريخ العربي ، و مؤلف و مؤلف
أحد مؤلف في التاريخ العربي ، و مؤلف و مؤلف
أحد مؤلف في التاريخ العربي ، و مؤلف و مؤلف

عالمية - مكتبة جامعة القاهرة
« API كتبا (٨٧) »